

الشبهة الثالثة

هى دعوى وجود تناقض -بالقرآن الكريم- فى موضوع الشفاعة . . وذلك انطلاقاً من أن آية الزمر: ٤٤ تجعل الشفاعة جميعها لله - سبحانه وتعالى - ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤] . . وكذلك آية السجدة: ٤ - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] . .

بينما آية يونس: ٣- تتحدث عن وجود شفاعة بإذن الله ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣] .
فآيتان تنفيان الشفاعة، وتجعلانها لله جميعاً . . وآية تقر بوجود شفاعة بإذن لله . .



• وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن الذين يقرأون القرآن بغير المنهاج القرآنى لهذه القراءة، إنما يوقعون أنفسهم فى كثير من الأوهام . ولو أنهم قرأوا القرآن بالمنهاج العلمى

المناسب لقراءته لما عرضت لهم أى من هذه الأوهام التى تتحدث عن وقوع تناقضات بين آيات هذا الذكر الحكيم .

إن من يقرأ القرآن باحثًا عن أى قضية من القضايا التى عرض لها، لابد له أن يجمع كل الآيات التى وردت فى هذه القضية، ثم يفسرها جميعها فى سياقات ورودها بسور القرآن الكريم .
وعلى سبيل المثال :

فمن يبحث عن فلسفة القرآن فى الأموال والثروات، عليه أن ينظر إلى الآيات التى أضافت مصطلح «المال» إلى ضمير الجمع -وهى سبع وأربعون آية- وإلى الآيات التى أضافته إلى ضمير الفرد -وهى سبع آيات- . . . وإلى الآيات التى أضافته إلى الذات الإلهية . . . وذلك ليدرك فلسفة القرآن فى أن المال هو مال الله، استخلف فيه الإنسان -مطلق الإنسان ومجموع الإنسان- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْإِنْسَانِ﴾ [الرحمن : ١٠]- فالأصل فيه هو ملكية الأمة -المجموع- دون حرمان للفرد من ملكية المنفعة والحيازة والاستثمار والاستمتاع، وفق الشريعة -التي هى بنود عقد وعهد الاستخلاف- . . .

ولو أن قارئًا وقف عند آية تضيف المال لضمير الفرد ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد : ٢] ثم عند آية تضيفه إلى المجموع ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال : ٢٨] . . . وتوهم وجود تناقض فى

موقف القرآن من هذه القضية، لكان مثله كمثل الذين توهموا وجود تناقض فى موضوع الشفاعة بين آيات القرآن الكريم.

إن آية الزمر: ٤٤ - التى تجعل الشفاعة جميعاً لله - سبحانه وتعالى - قد جاءت فى سياق الحديث عن المشركين الذين اتخذوا لهم من دون الله شفعاء، لا يملكون شيئاً ولا يعقلون.. فجاء القرآن لينفى إمكانية شفاعة هؤلاء الشركاء الذين لا يملكون شيئاً ولا يعقلون، وليقول - فى مواجهة هذا الموقف الشركى - : إن الشفاعة لله جميعاً ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

فنفى الشفاعة عن غير الله خاص بإدعاء الشفاعة للشركاء الذين جعلهم المشركون شفعاء لهم من دون الله.. ولقد تكرر ذلك فى القرآن الكريم - فى غير سورة الزمر - ﴿ أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ [يس: ٢٣ - ٢٤] - وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ [الأنعام: ٥١].. ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [الزخرف: ٨٦].

فالشفاعة المنفية هى شفاعة الشركاء الذين زعمهم وادعاهم المشركون من دون الله . .

● أما عندما تكون الشفاعة لمن أذن الله له ورضيه، فهى حقيقة قرآنية ثابتة لأهلها ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَلَا تَتَفَعَّ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فالشفاعة منفية عندما تكون دعوى شركية للأنداد الذين زعم المشركون أن لهم شفاعة من دون الله . . هنا تكون الشفاعة لله جميعا، دون كل هؤلاء الأنداد والشركاء المزعومين . . أما عندما تكون الشفاعة بإذن الله، ولمن رضيه الله، فهى نعمة إلهية ثابتة فى الكثير من سياقات القرآن الكريم -التي سقنا منها الأمثال- . .

● ومثل ذلك نجد عندما نستخدم هذا المنهاج العلمى فى قراءة القرآن وتدبر آياته التى جاءت بإزاء العديد من القضايا التى يظن الجهلة وجود تناقض فيما بينها .

فعندما يتخذ البعض الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يبتغون عندهم العزة، يقول لهم القرآن الكريم إن العزة لله جميعاً ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٣٩]..

أما عندما يتغير المقام والسياق، فإننا نجد القرآن الكريم يقرر للمؤمنين عزة هي من عزة الله - سبحانه وتعالى - وعزة رسوله - عليه الصلاة والسلام - ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وعندما يتقوى بعض الناس بالأنداد الذين يتخذونهم من دون الله، يقول لهم القرآن الكريم إن القوة لله جميعاً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

أما عندما يتغير المقام والسياق فإن الإسلام يجعل المؤمن القوى أفضل وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. كما أن المؤمن يأخذ كتابه بقوة.. وهو مطالب أن يعد لأعداء الإسلام والمسلمين ما استطاع من قوة.. وأن يأخذ ما آتاه الله بقوة.. ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١] - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] - ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى

قُوَّتَكُمْ ﴿ هود: ٥٢ ﴾ - ﴿ قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَكُم قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾
﴿ هود: ٨٠ ﴾ ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم: ١٢].

هكذا.. وبهذا المنهاج، يجب أن يُقرأ القرآن الكريم: القراءة التي تجمع الآيات الواردة في الموضوع الواحد، والتي ترى «التمايزات» بينها في ضوء السياقات التمايزة والمقاصد المختلفة التي جاءت فيها ولها هذه الآيات.

وبهذا المنهاج يثبت -يقينا.. وبلاستقراء- أنه لا وجود لشبهة تناقض بين أى من آيات القرآن الكريم.. وصدق الله العظيم:
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

...

الشبهة الرابعة

تدعى وقوع تناقض بين آيات سورة الواقعة ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣ ، ١٤] - وبين آياتها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [٣٠ ، ٤٠] بحسبان أن الآيات الأولى تجعل قليلا من أهل الجنة مسلمين . . بينما الثانية تجعل كثيراً من أهل الجنة مسلمين .



• وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن كل أهل الجنة هم مسلمون، سواء أكانوا على شريعة محمد ﷺ أو على شرائع الأنبياء السابقين الذين جاءوا جميعاً بدين الله الواحد - دين الإسلام - .

الأمر الثانى: أن الآيات ١٠ - ١٤ - فى سورة الواقعة - إنما تتحدث عن السابقين إلى الإيمان . . وإلى عمل الخيرات ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٤] فهى لا تتحدث - فقط - عن السابقين إلى عمل الخيرات، وإنما عن الذين جمعوا بين السبق إلى الإيمان وبين السبق إلى عمل الخيرات . . أى تتحدث عن السابقين إلى

عمل الخيرات من الجليل القرآنى الفريد المؤسس لإقامة الدين مع رسول الله ﷺ . . . ولهؤلاء مكان متميز فى القربى وجنات النعيم . . . وهم ثلة - أى جماعة - من هؤلاء الذين سبقوا فجمعوا هاتين الحسينين . . .

أما الآخرون - الذين لحقوا بهم - فإنهم ، وإن سبقوا إلى عمل الخيرات ، فإنهم لم يحظوا بفضل السبق إلى التأسيس . . . وقليل منهم هم الذين يبلغون فى القربى مرتبة الثلة - الجماعة - التى سبقت إلى التأسيس للإيمان وإلى الصالحات من الأعمال جميعاً .

أما آيات الواقعة : ٣٩ ، ٤٠ - فهى واردة فى سياق آخر ، تتحدث عن أصحاب اليمين ، الذين يأخذون كتابهم باليمين - أى بالقوة - التابعة من الاطمئنان إلى ما قدمت أيديهم من الطاعات والصالحات . . . وهؤلاء لهم نعيم الجنة - الذى تحدث عنه سياق الآيات - ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرْبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ٢٧ - ٤٠] .

فهذا المتاع فى الجنة قد وعد الله به جماعة - ثلة - من الأولين من أهل اليمين - وجماعة - ثلة منهم من الآخرين .

واختلاف السياق - سياق الحديث عن السابقين السابقين المقربين -
الذين جمعوا فضل السبق إلى تأسيس الدين وفضل السبق إلى الأعمال
الصالحات. . اختلاف هذا السياق عن سياق الحديث عن أصحاب
اليمين، ينفى وجود أى تناقض بين هذه الآيات التى نزلت من لدن
حكيم عليم. . فالأولى تتحدث عن السابقين إلى الصالحات من
المهاجرين والأنصار. . والثانية تتحدث عن أصحاب اليمين الذين سبقوا
إلى الأعمال الصالحات.

...

الشبهة الخامسة

تدعى وجود تناقض بين آية سورة المائدة: ٦٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . . أى التى تجعل النجاة شاملة لمن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من أصحاب هذه الشرائع - المؤمنين بالشرعة الخاتمة . . والذين هادوا . . والصابئين . . والنصارى . .

وبين آية آل عمران: ٨٥ التى تقصر النجاة على المتدينين يدين الإسلام: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

•••

• وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن دين الله - سبحانه وتعالى - واحد من لدن أول الأنبياء آدم - عليه السلام - إلى خاتم الأنبياء محمد - عليه الصلاة والسلام - . . وهذا الدين الإلهى الواحد هو دين الإسلام - الطاعة وإسلام لوجه لله - . . وعلى هذا الدين كان إبراهيم - أبو الأنبياء - عليه السلام - ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧] - . . وكذلك كان الأنبياء من ذريته ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ

اللَّهُ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة: ١٣٢] - . .
وكذلك كان جميع الأنبياء والمرسلين -مسلمين- حتى خاتمهم المبعوث
لإحياء ملة أبي الأنبياء إبراهيم-عليه السلام- ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)﴾ قُلْ إِنْ
صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦١-١٦٣].

فكل الذين آمنوا بالله الواحد.. وآمنوا بالغيب واليوم الآخر
والحساب والجزاء.. وعملوا صالحًا- على شرائع موسى وعيسى
وغيرهما من الأنبياء والمرسلين، والذين تحدثت آية المائدة : ٦٩- عن
نجاتهم، هم جميعًا مسلمون.

أما الذين تحدثت عنهم آية آل عمران: ٨٥ وقالت إن تدينهم غير
مقبول، فهم الذين لم يوحدوا الله -سبحانه وتعالى-.. أو لم يؤمنوا
بالغيب والآخرة.. أو لم يعملوا صالحًا في حياتهم الدنيا.. أى هم
الذين اختاروا التدين بغير دين الإسلام..

فأصول الإسلام: التوحيد.. والإيمان بالغيب.. والعمل الصالح،
شاملة لكل من اتخذ إليها شريعة أى نبي من أنبياء الإسلام -الذين
تعددت شرائعهم، فى إطار هذا الدين الإلهي الواحد -دين الإسلام-.

أما الذين استبدلوا شرك الوثنية أو شرك التثليث بالتوحيد
والتنزيه.. أو استبدلوا الدهرية- إن هى إلا حياتنا الدنيا- بالإيمان

بالغيب . . أو استبدلوا السيئات بالحسنات . . فإنهم غير مسلمين ،
ولا نجاة لهم ، لأنهم لم يحصلوا شروط النجاة ، التى هى أصول
الإيمان بدين الله الواحد -الإسلام- .

مع مراعاة أن درجة النجاة ليست واحدة عند الذين هادوا وعند
النصارى وعند الذين آمنوا بالشرعية الخاتمة- إذ لا يستوى من آمن
بموسى وهارون -عليهما السلام- وحدهما بمن أضاف إليهما عيسى -
عليه السلام- كما لا يستوى من آمن بهؤلاء بمن آمن بكل الأنبياء
 والمرسلين ، ولم يفرق بين أحد من رسل الله أجمعين .

كما لا يستوى من آمن بكتاب واحد من كتب الله بمن آمن بكل
الكتب والصحائف والألواح التى جاء بها وحى السماء . . ولقد كان
الناجون من قوم موسى وحوارى عيسى يعرفون بشارة كتبهم بالمرسلين
من بعد رسولهم . . ومن ثم كانوا مصدقين بكل الأنبياء والمرسلين . .

ويؤكد هذه الحقيقة -حقيقة وحدة دين الله الواحد -الإسلام-
حديث رسول الله ﷺ - : «إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا
اليهودية ولا النصرانية. من يعمل خيراً فلن يكفره» رواه أبو داود . . .

وبعبارة الإمام محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م :
فإن الكتابية الحقيقية- أى الذين لهم النجاة - هى «التى تؤمن بالله
وتعبده، وتؤمن بالأنبياء، وبالحياة الأخرى، وما فيها من الجزاء،
وتدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشر.

والفرق الجوهرى العظيم بينها وبين المؤمنين -المسلمين- هو الإيمان بنبوته محمد -ﷺ- ومزاياها في التوحيد والتعبد والتهذيب . . وهو فرق يشبه ما بين الموحدين المخلصين العاملين بالكتاب والسنة وبين المبتدعة الذين انحرفوا عنهما .

والذى يؤمن بالنبوته العامة لا يمنعه من الإيمان بنبوته خاتم النبيين -فى الغالب- إلا الجهل بما جاء به، وكونه قد جاء بمثل ما جاء به النبيون وزيادة اقتضتها حال الزمان فى ترقيه واستعداده لأكثر مما هو فيه^(١) .

فالنجاة لأهل الشرائع السابقة هى نجاة للمسلمين منهم، الذين آمنوا بدين الإسلام- دين الله الواحد، وسلخوا إلى تحقيق عقائد ومقاصد هذا الدين الإسلامى الواحد شريعة النبى الذى انتسبوا إلى أمته . وهى الشريعة التى بشرتهم بمن سيأتى بعد نبىهم فكانوا بهم مؤمنين .

ومن ثم فلا وجود لهذا التناقض الذى زعمه وادعاه الذين لم يفقهوا هذه الآيات فى القرآن الكريم .

فالدين عند الله الإسلام . . ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه . . والنجاة مكفولة لمن يسلك إلى هذا الدين الواحد شريعة أى نبى من الأنبياء- الذين هم أولاد علّات -[أمهات شتى] وأبوهم واحد - الإسلام- أى شرائعهم متعددة، فى إطار الدين الواحد -الإسلام- .



(١) محمد عبده [الأعمال الكاملة] ج ٤ ص ٦٠٩ . دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة .
طبعة دار الشروق- القاهرة سنة ١٩٩٣ م .

الشبهة السادسة

هى دعوى تناقض القرآن الكريم عندما أمر الرسول -ﷺ- بالصفح: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَفْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].. تناقض هذا الأمر بالصفح مع ما جاء فيه «القرآن» عن جهاد الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

• وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن «الصفح» - فى المصطلح القرآنى - هو «ترك الشريب» وهو أبلغ من «العفو» ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩]. وقد يعفو الإنسان ولا يصفح.

ولقد ورد حديث القرآن الكريم عن هذه المادة وهذا الصفع فى عدة مواضع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]. ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ

عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿ [المائدة: ١٣] . ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا
 بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿ [الحجر: ٨٥] ﴾ وَلَئِنْ
 سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ [الزخرف: ٨٧-٨٩] . ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا
 حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ
 اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴿ [البقرة: ١٠٩] .

كما جاء الصفح بمعنى الإعراض فى موضع واحد ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ
 الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف: ٥] .

والملاحظ أن كل السياقات التى جاءت فيها هذه الآيات لا تتحدث
 عن المشركين المقاتلين للمسلمين ولا المعتدين عليهم، ولا الذين فتنوا
 المسلمين فى دينهم وأخرجوهم من ديارهم . . بل إن بعض هذه الآيات
 إنما تتحدث عن الأزواج والأولاد الذين يصبحون فتنة يجب الحذر
 منها . . وبعضها يتحدث عن أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى
 سبيل الله . . وبعضها يتحدث عن المنافقين- أصحاب خائنة الأعين-
 وأمثالهم من غير المقاتلين المعتدين . . ولذلك فإن الصفح وترك التثريب
 على هؤلاء هو لون من الخلق الإسلامى الجميل . ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]

-قد توجد عداوة، لكنها لم تسبلغ درجة القتال والعدوان. وليس كذلك سياق الآية التي تتحدث عن الجهاد والإغلاظ على الكفار والمنافقين [التوبة: ٧٣] فهي قد جاءت في سياق الحديث عن الكفار والمنافقين المحاربين للرسول والمؤمنين، والذين يحلفون ويكذبون، والذين كفروا بعد إسلامهم، والذين هموا بما لم يستطيعوا تحقيقه - من قتل الرسول - ﷺ - غيلة-، والذين عاهدوا الله ثم نقضوا العهد والميثاق، والذين أخلفوا الله ما وعدوه فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه، والذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، ويلمزون الفقراء الذين لا يجدون إلا جهدهم وقوة عملهم، والذين يسخرون من المؤمنين .

فهذا الصنف من الأعداء، الذين تجاوزوا مجرد العداء إلى قتال المؤمنين والعدوان عليهم، مع الاتصاف بكل هذه الصفات المردولة، واقتراف كل هذه الجرائم - الخلقية والمادية - في حق الله ورسوله وأمته، هم الذين تتحدث آية التوبة [٧٣] عن جهادهم والغلظة عليهم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا

آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخُلَوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿ [التوبة: ٧٣ : ٨٠] .

ففى هؤلاء المعتدين المقاتلين المنافقين المتصفين بكل هذه الصفات المردولة جاء الأمر بالجهد لهم والإغلاظ عليهم . . وذلك دون أن يغلق القرآن الكريم أمامهم باب التوبة ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ . .

وهذا مقام وسياق مختلف كل الاختلاف عن المقام والسياق الذى ورد فيه الأمر بالصفح الجميل وترك التشريب . .

ومن ثم فإن الحديث عن وجود تناقضات بين هذه الآيات هو جهالة مرجعها فقدان الوعي بمعانى وسياقات آيات القرآن الكريم .

